مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم الإنسانية
الإصدار السادس عشر
المجلد (٥) العدد (٣)
٢٠٢٤ (١-١٣)

جمالية فضاء المقهى برواية "هوت ماروك" لياسين عدنان

محمد أبوالقائد
طالب باحث بسلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط.

نشر إلكترونياً بتاريخ:١٩ أغسطس ٢٠٢٤م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخص

تروم هذه الدراسة إبراز جمالية المقاهي التي لم تعد فضاءات ثابتة وساكنة لتزجيّة الوقت فحسب، بل أضحت آليّة من آليات السّيطرة والضّبط النّاعم. فتنوع فضاءات المقاهي بين مقهى شعبي ومقهى تجاري ومقهى العلامات التجارية الكبرى يبين تمظهرات المجتمع الذي ينبئ عن اختلاله الطبقي. فلكل مقهى رواده وزبائنه. فهو بهذا المعنى، مرآة لحياة الفرد السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وإذ أصبحت المقاهي ملاذا للهستيريا الكروية، متجاوزة الإمتاع والمآنسة إلى الهذيان والتعصب، فإنها أيضا أصبحت موئلا للتحرش بالنادلات وعابرات السبيل من أمام أبواب المقاهي المتراصة. إن المقاهي الكثيرة والمكتظة، ليست كراسي وطاولات ومرامد، إنها مؤشرات واضحة للتغيرات الكبيرة التي عرفها المجتمع المغربي بالفعل والقوة.

الكلمات المفتاحية: المقهى، الفضاء، الإيديولوجيا، استلاب.

ABSTRACT

This study aims to highlight the aesthetics of cafes, which are no longer just static and idle spaces for passing time, but have become mechanisms of soft control and regulation. The diversity of cafes, ranging from popular cafes to commercial cafes and major brand cafes, illustrates the manifestations of a society marked by class disparities. Each type of cafe has its own patrons and customers, making it a mirror of the individual's political, economic, and social life. As cafes have become a refuge for football hysteria, moving beyond entertainment and companionship to delirium and fanaticism, they have also become a hotspot for harassment of waitresses and passersby in front of the tightly

packed cafe entrances. The numerous and crowded cafes are not just chairs, tables, and ashtrays; they are clear indicators of the significant changes that Moroccan society has experienced in both actuality and potential.

*** مقدمة**

لا جرم أنّ المقهى، وهي بنت المدينة، كانت ثمرة من ثمار الحضارة الغربيّة، دعتها الحاجة إلى تزجية بعض من الوقت الّذي وفّرته الآلة في مصانع البورجوازيّة النّاشئة. ومما يجدر التّنويه به أنّ المقهى في عصر الأنوار لم يكن قطّ فضاء يشرب فيه الروّاد "أعراض النّاس"، بل كانت موئلا للثوّار واستنبات الأفكار*، فقد أعلن "مونتيسكيو" بقدر كبير من السخريّة قائلا: "لو كنت حاكما لهذا البلد لأغلقت المقاهي التي يرتادها أناس يقومون بإشعال الأدمغة". إنّ تنوّع أدوار فضاء المقهى عبر كرور السّنين يحمل أكثر من معنى، إنّها "ظاهرة فلسفية تسترعي الانتباه، وتحضر بكثافة هذه الأيّام. فهي موجودة في كلّ مكان، وأعدادها تتزايد عام بعد عام، وكذلك الحاجة إليها باتت ملحّة لتحوّلها إلى مرآة عاكسة للمجتمع"[١]، وهي أيضا "فضاء سيكودرامي يصلح للعلاج النفسيّ لكلّ الناس"[٢].

*** مشكلة الدراسة**

تحاول هذه الدراسة طرح تساؤلات عن كنه هذا الشّغف المحموم للمغاربة بارتياد المقاهي خاملي الفكر، لا يراعون للزمن المهدور إلّا ولا ذمّة. لذلك سنبادر إلى معالجة هذا الفضاء العاجّ والهجين من خلال أحداث رواية هوت ماروك حيث الشّخصيّات تضرب بسهم وافر من اللامبالاة والمعاناة وصروف من التعطّل والتبطّل. فالمقهى إذا اعتبرناه مجتمعاً صغيراً لا بدّ أن يندّ عن أسئلة في الصّيغ التّالية: هل المقهى كفضاء يعكس تقاطب وتجاذبات المجتمع المنذور لتراكب الطّبقات؟ كيف استطاعت المقاهي أن تخلب لبّ الزّبائن وتذوّبهم كما يذوب السّكر في الفنجان؟ هل المقهى فضاء لهروب الإنسان المكدور من ضنك الحياة وإبراز لتفسّخ العالم الاستهلاكيّ؟

*** ما يميز هذه الدراسة عن غيرها**

إبراز تمظهرات فضاء المقهى، ليس كأبعاد هندسية فحسب، بل وعيا عميقا تتكاثف فيه دلالات نفسية واجتماعية وإيديولوجية.

١- المقهى، بين الاحتراب والكسل والتّسليع: يعتبر الفضاء من أهمّ مكوّنات السّرد الرّوائيّ، حيث فضلا عن وظيفته الهندسيّة فإنّه: "يحدّد الإطار، ويرسم ملامح المشهد

* اشتهرت المقاهي الباريسية باستقطاب ثلة من الفلاسفة التنويريين والأدباء والمفكرين، فمقهى البروكوب procope (ق. ١٦) كان يرتاده فولتير وروسبيير وبونابارتن أما مقهى "لي دو ماجو" فكان من رواده إميل زولا وهمنغواي، في حين كانت مقهى "ليب" هي المفضلة عند الشاعرين رامبو وفرلين.

١ زهير الخويلدي، تساؤلات حول المقهى، www. Zamanalwasl.net

٢ خالد محمود الغني، المقهى كفضاء سيكودرامي وملتقى للثورة في حي عتيق، www https//alantologie.org.eg

*اشتهرت المقاهي الباريسية باستقطاب ثلة من الفلاسفة التنويريين والأدباء والمفكرين، فمقهى البروكوب procope(ق. ١٦) كان يرتاده فولتير وروسبيير وبونابارتن أما مقهى "لي دو ماجو" فكان من رواده إميل زولا وهمنغواي، في حين كانت مقهى "ليب" هي المفضلة عند الشاعرين رامبو وفرلين.

السّرديّ، وأبعاده، ووظيفته الإيديولوجيّة"[1]، كما أن الفضاء كالمقهى لا يكتسي طابعا سكونيّا مطلقا، فالمقهى كتوتّر خالص وشبكة من العلاقات نعْيٌ للبراءة والحياد الهامدين والراكدين، إنّه تبئير مكانيّ للإيديولوجيا عندما تعصف في الفناجين كزوابع ذهنيّة مفرّغة.

١- مقهى "أوطم"، كافتيريا الإيديولوجيّات: عرّف عبد الله العروي الإيديولوجيا (أدلوجة) بأنّها: "أوّلا ما ينعكس في الذّهن من أحوال الواقع انعكاسا محرّفا بـــتأثير لا واعٍ من المفاهيم المستعملة. ثانيا نسق فكريّ يستهدف حجب واقع يصعب وأحيانا يمتنع تحليله، نظريّة مستعارة لم تتجسّد بعد كليّا في المجتمع الّذي استعارها لكنّها تتغلل فيه كلّ يوم أكثر فأكثر"[2]. وتجسّد مدرّجات الجامعة وساحاتها معارجَ ومدارجَ الإيديولوجيا المنسربة الّتي تخفي الحقيقة وتحاول تسويغ الواقع وترويج الأوهام. ولا ريب أن ساحة جامعة "ظهر المهراز" الّتي كانت رحى لأمّ المعارك بين القاعديين والإسلاميين في تسعينات القرن الفائت،والّتي سمّاها فصيل "العدل والإحسان" في دعايته الحربيّة ب"معركة تحرير كابول"[3] تبرز بشكل جلل التّغوّل والصّراع الإيديولوجيّ؛ في شكل اصطفاف واستقطاب. إنّ الخطّ الكفاحيّ للاتحاد الوطنيّ لطلبة المغرب "أوطم" الّذي كان من المنتظر أن يمتدّ إلى مواجهة النّظام ارتدّ بشكل دائريّ إلى تناحر ومواجهة بينيّة بين مختلف الفصائل الطّلابيّة؛ حتّى شعار "اوطم العتيد" كان موقع خبط وخلط، ف"العدليون" يسمونه ب"الاتحاد الوثنيّ لطلبة المغرب" كناية عن "الجاهليّة" الأولى ونكاية في اليساريين، فسلْب الشعار أو الاختصار الاسميّ ليس ترفا من التّأنّق اللّفظيّ ولا حرصا على التّسليّة ولكنّه علبة الباندورا la boite de pandore الّتي تحوي شرور الإيديولوجيا ومآسيها. وماذا تفيد التّسمية في الأخير سوى أنّ "تسميّة الأشياء أكبر وأهمّ عزاء بالنّسبة للإنسان"[4]. وفي حمأة هذا الوطيس، انتقل الصّراع الإيديولوجيّ إلى فضاء المقهى الجامعي*، ابن عياض تحديدا، ذلك الفضاء المتواضع الّذي يكرع فيه الطلبة كأس شاي أو فنجان قهوة بثمن زهيد. إنّ من يملك الفضاء يكسب المعركة. ولأنّ رقعة الشّطرنج لا تسمح إلّا بفائز وحيد، فاستراتيجيّة الصّراع تنبني على التّمويه والتّشويه والخداع. وبين طاولات المقهى تحاك الدّسائس والوشايات. ولن يوجد أسطع مثال على هذا الصّراع من استدراج الطّالب الخامل الذّكر، الباهت الحضور "رحال لعوينة" للرّفيق السّابق والعدليّ حاليا "عزيز السّلوقيّ" إلى كافتيريا الكليّة لتناول فنجان قهوة، قطعا ستكون مرّة ومدسوسة بسمّ الوشاية، إذ يحدّثه عن "كيف

[1] إبراهيم خليل، بنية النص الروائيّ، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط١، ٢٠١٠، ص ٢٢٨

[2] عبد الله العروي، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٥، ص ٢٩.

[3] هوت ماروك، م. س. ص ١٠٩

[4] إلياس كانتي، شذرات، تر. رشيد بوطيب،هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة) ط١، ٢٠٠٩، ص ١٠

* كان من المفترض أن تشكل الكافتيريا الجامعية فضاء خصبا لاستنبات الثقافة، وعكس ذلك نشأت المقاهي الثقافية خارج أسوار الجامعة في بداية التسعينات من القرن الماضي، حيث نشأت بعدة مدن مغربية بغية "توسيع قاعدة الاستهلاك الثقافي بالبحث عن جمهور آخر، وتعميم المعرفة، وتقريب الإنتاج الثقافي والفني من المتلقي، عبر تحويل فضاء المقهى إلى مكان لتلاقح الأفكار وتبادل الأفكار عبر لقاءات مفتوحة، ومباشرة مع المثقفين"، فاطمة الزهراء المرابط، مبدعون في ضيافة المقهى، الراصد الوطني للنشر والقراءة، ط١، ٢٠١٥، ص٨.

قادته المصادفة وحدها إلى مجلس سريّ للقاعديّين تحدّثوا فيه عن العناصر المشبوهة الّتي زرعتها المخابرات وسط الجسد الطّلابي"[1]. إنّ دسيسة السّنجاب "رحال" ليست كلاما يطوى ولا يروى، بل هي حكم الطّرد من الجماعة، ولا يطرد من الجماعة حسب الطّرح الإسلاميّ إلّا الشّيطان. إنّ فضاء الكافتيريا كان من الأجدر به قياسا بالنّميمة الثّقافيّة* أن يكون مفتوحا على المقابسات النّديّة والجدالات الفكريّة بما لا يفسد للودّ قضيّة، ولا على الاحتراب الإيديولوجيّ المتستّر بشعارات سياسويّة مضلّلة. لذلك يجد "رحّال" ضالّته المنشودة في المقهى، يدسّ من فضائها المضطرم سمومه القاتلة. إنّ السّمّ الزّعاف قد يكون فضيلا بالقدر الّذي يكون فيه ضئيلا، يكون ترياقا وبلسما لكلّ سقم، لكن سميّة "رحال" لا رادّا لقضائها ولا مجد لفضائلها، من معصرة "رحال" السّميّة تتنزّل قطرات المؤامرة شديدة التّركيز، تخدّر الأعصاب وتفرّق الصّحاب. إنّ المتأمّل الجالس في المقهى الجامعيّ لن ير بين فرجات نوافدها ولا عبر سطيحتها صخب الجادّة بحيّ شعبيّ ولا الهدوء القمريّ لشارع بحيّ راقٍ، إنّها أشبه ما تكون صيدليّة. يستحقّ هذا المجاز اللّطيف الوقوف عنده لا لتناول أقراص صيدلانيّة فوّارة ولكن دفعا للهزال القيميّ للدّسيسة، فما أجدر بالمقهى الجامعيّ أن ينأى وبكبرياء المعرفة الوثقى عن كلّ الفرص الّتي تحبط الفكر وتشلّ النّهى.

وإنّها لخدعة كبرى أن ننظر للمقهى كفضاء ثابت وساكن، نسخ كربونيّة لا تختلف إلّا من حيث الشّكل، وإلّا فإنّها كرسيّ وطاولة وفنجان ونادل(ة). فكيف بهذه الخديعة المدمّرة أن تحجب عن كلّ أذن سميّعة التشكّلَ الصوتيّ للمقهى. إنّ الاغاني المنبثة في المقهى ودرجة تدفّق صبيبها الدّيسيبليّ يعطي إشارة سمعيّة للزّبون، ويشكّل مع ديكور المقهى وجودا خاصا يمنح ميزة وبصمة لها.

إن استحواذ الفصائل الجامعيّة على المقهى مع فارق في التحكّم يختفي وراء وميض فكرة تضيئ طبيعة هذا الاستحواذ. وإنّه لمن الجائز القول إن من يتحكّم في اللّغة ومواربالها فقد دانت له الرّقاب وفاز بغنيمة حرب ضاريّة، فكيف سيكون الأمر إذا طالت المعركة نوتات الموسيقى الملتزمة وابتهالات الأناشيد الإسلاميّة. لا شكّ أنّ الموسيقي تُصيّر اللّامحتمل محتملا وترهف الحسّ قصد الشّعور بالامتلاء نشوة بالحياة، وهي "ملجأ الأرواح الّتي جرّدها السّعادة"[2]، غير أنّ الموسيقى الّتي تصدح في فضاء المقهى ليست موسيقى شعبية ولا كلاسيكيّة، إنّها الموسيقى الملتزمة أو الموسيقى السّياسيّة الّتي تحمل ترنيماها قضايا إنسانيّة، إنّها نظير "الأدب الملتزم" السّارتريّ، وإن شئنا القول تدقيقا قلنا الموسيقى الإيديولوجيّة الّتي لا تنظر إلى الجانب الجمالي إلّا بالقدر الّذي تلهب فيه القلوب حماسة، لكن ما يستوجب التّركيز عليه هو أن تكون كلمات الأغنيّة قويّة متمرّدة ومقاومة، وقد يوحي المعجمُ الملفوظُ الانتماءَ السّياسيَّ للأغنيّة، يساريّة أو إسلاميّة. وهكذا إذن، عندما "الفضاء يتحوّل إلى ناد مغلق خاص بالقاعديّين واليساريّين وفيالق المدخّنين"[3] فإنّ لا موسيقى تعلو فوق موسيقى "يسار الكافيار": الشّيخ إمام وسعيد المغربيّ ومجموعة العاشقين. ولنا أن نتخيّل الطّالب اليساريّ (وهل يوجد طالب يمينيّ) في فضاء المقهى وهو ينصت بحماسة عنتريّة مثلا لأغنيّة سعيد المغربيّ: -

[1] هوت ماروك، ص ٦٩.

[2] إميل سيوران، لو كان آدم سعيدا، تر. علي اليوسفي، أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، يناير ٢٠١٤، ص ٢٨.

[3] هوت ماروك، م. س. ص ١١١

"نعم لن نموت، ولكننا سنقتلع الموت من أرضنا
هناك، هناك، بعيدا بعيد سيحمني يا رفيقي الجنود
سيلقون بي في الظلام الرهيب سيلقون بي في جحيم القيود"[١].

إن دندنة العود في هذا الفضاء الكافتيريّ وقد تحوّل إلى مسارح الأرواح المتمرّدة توقد النّفوس الخاملة وتجيّش العواطف الباردة. وسيطرة القاعديين دعت إلى الاستفراد بإضافة لائحة جديدة من الأشرطة الغنائية لموسيقيّين ذائعي الصّيت "تضمّ فيروز ومرسيل خليفة وأحمد قعبور وفرقة العاشقين وخالد الهبر وأبو عرب ومجموعات الطّريق العراقيّة والبحث التّونسيّة وألوان المرّاكشيّة"[٢]، فهذه الأغانيّ تنادي وجدان اليساريّين وتشدّ على أيديهم (جعبور) وتصرف (حصاد الريح يلوي الأعناق) (ألوان المراكشيّة). إن المقصف غبّ السّيطرة اليساريّة تحوّل إلى قلعة حمراء تنشد فيها أغاني الموت والاعتقال في السّجون المظلمة الكئيبة.

وكما أنّ السّيطرة اليساريّة على المقهى وبالتالي على الأغاني الّتي ستذاع فيها لا يعني أنّ الطّرف الآخر يقبل بها، فإن لم تكن نشازا بالنّسبة للإسلاميّين فهي على الأقلّ حرام، وهي غير ما ذهب إليه ابن خلدون من أنّ "المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته، وسائر أحواله وعوائده"[٣]، فالإسلاميّون على أي حال لا يقبلون تماما تلك الأغاني عن قناعة واعتقاد دينيّ، لذلك فإنّهم سيصمون آذانهم عن الاستماع لها وقرا؛ ومتى تسنّى لهم السّيطرة على المقهى والحرب سجال، سيفرضون بالقوّة و"الشّرع" وضدّا على الكوطا الفنيّة الأناشيدَ الإسلاميّة حتّى لا نقول الأغانيّ الإسلاميّة، هكذا "أحكم الإسلاميّون سيطرتهم على الوضع داخل الكافتيريا مؤقّتا. منعوا التدخين من جديد، ومنعوا الموسيقى على أساس أنّ فترة الامتحانات تتطلّب أقصى درجات الهدوء"[٤]. ولنضرب مثلا للمنشد رشيد غلام شديد التّقدير والتّأثير في فصيل العدل والإحسان: -

تدلّلت في البلدان حين سبيتني وبتّ بأوجاع الغوى أتقلّب
فلو كان لي قلبان عشت بواحد وأترك قلبا في هواك يعذّب

لا يكون رهان الفصيل العدليّ على الانحلال في المدّ الثّوري بقدر ما يكون الرّهان على المديح وكأنّ المقهى مجالس ذكر ربّانيّة طهرانيّة.

واضح ممّا أسلفنا أنّ المقهى يتشكّل بالتّغيير الّذي يطرأ عليه كلّما سيطر فصيل معيّن على فضائه، يتلوّن برماديّة إيديولوجيّة الغالب في انتظار صحوة المغلوب في إطار الدّورة التّاريخيّة الخلدونيّة. الفضاء يتغيّر. أجل، ليس لأنّه حرباء، ولكن "لأنّ الحيّز ما تحدث فيه من التّغييرات. ما كان نقل من مكانه لا يمكن إعادته إليه بشكل فعليّ: فباريس الّتي أجدها عند عودتي إليها ليست هي تماما باريس الّتي كنت غادرتها، وأنا نفسي لست الشّخص الّذي كنته"[٥].

٢- المقاهي الشعبية، صناعة الكسل: إنّ أشدّ ما يثير الاهتمام ليس انتشار المقاهي بهذا الشّكل السّرطانيّ، بل لماذا هذا الانتشار؟ لماذا هذا الهروب الكبير la grande évasion من عشّ بيتٍ من المفترض أن ينعم بهدوء قمريّ

[١] قناة الغد، سعيد المغربي، نعم لن نموت youtub www alghad.tv
[٢] هوت ماروك، م. س. ص ٦٨
[٣] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المحقق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق، ط١، ٢٠٠٤، ، ص ٢٨٣

[٤] هوت ماروك، ص١١٦.
[٥] فرديناند ألكييه، التوق إلى الخلود، تر. سنا خوري، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ١٤

إلى المقاهي لساعات طوال يقضمون فيها الوقت بكسل لذيذ؟ أ يعني ذلك أنّ روّاد المقاهي اختاروا الكسل والتّكاسل عن دراية كما حال السّارد في رواية "سردابي": "أمّا أنا فأختار هذه الصّناعة: صناعة الكسل والشّره"[1]، وولع يداري ولع "رامبو" في كسله الجهنّميّ "وعنهم أخذت: الوثنيّة والولع بانتهاك المحرّمات، بل كلّ الرّذائل، الغضب والشّبق، يا لروعة الشّبق؟ وعلى الأخصّ الكذب والكسل"[2]، أم أنّ ذلك صناعة "ديموقراطيّة الاستهلاك الشّامل"[3]. من الجليّ أنّ المقهى مختبر حيّ لنماذج بشريّة متنوّعة ومتباينة يندر أن نجدها في فضاءات أخرى، ويسهل على الخبير أو المراقب أن يفحص هذه الظاهرة من وجهة نظر اجتماعيّة أو نفسيّة، فهؤلاء الزّبائن/العيّنات موادّ خامّ في حالة فصام مع الواقع، وإلّا كيف نفسّر حالة رائد المقهى ما بين استغراق شديد في هاتفه الجوال، أو انشداد كبير إلى شاشة تلفاز حائطيّ يبث مباراة حامية أو باردة الوطيس، أو فغْرٌ لِفيه على الأرداف المغتلمة الّتي تتهادى على الرّصيف. ومن يبحث يا ترى عن كتاب أو جريدة في مقهى شعبيّ فكأنّما يبحث عن بلّورة سكّر في فنجان قهوة "نصّ نصّ" فاترة دون زيادة أو نقصان.

لا محيد عن القول إنّ المقاهي الشّعبيّة إحدى تجليّات الأحياء الشّعبيّة، فكما أنّ الإنسان ابن الطّبيعة فإنّ المقهى الشّعبيّ ابن الحيّ الشّعبيّ في فضائه وشكله ومزاجه، وشعْب المقهى الشّعبيّ لا يريد الحياة يوما ولا نصف يوم، إنّ "شعب المقاهي شعب أتاي بالنّعناع وقهوة نص نص"[4]، دون أن يفوتنا صفة "شعب أتاي" الملتصقة بأدنى الطّبقات المغربية الّتي فيها تفاوت وتخابث. وإنّه ليكاد أن يكون الشّاي الرّاعي الرّسميّ للمقاهي الشّعبيّة*، شاي في أباريقَ فضيّة عتيقة، يشربه أو بالأحرى يعبّه حشد كبير يتنازعون على إفراغه حتّى آخر رشفة أو "تلصيقة". أمّا في المقاهي العريقة* فيُصبّ الشّاي المنعنع في كؤوس شاي طويلة تتقطّر مياهها من قدور نحاسيّة ضخمة، لذّة لارتشاف المتذوّقين.

٣- مقاهي العلامات التجاريّة الكبرى: وإذا ألقينا بالا لمقاهي العلامات التّجاريّة الكبرى ألفينا الشاي يحضّر في إبريق صغير ويصاحبه كأس صغير حتّى لا يتشارك في احتسائه جمع غفير، فعلامة "العلامات التجاريّة الكبرى" واضحة وضوح الينّ والدّولار: اسكبْ على قدر مالك. إنّ الشّاي وآدابه المصاحبة يفصح عن الانتماء المكانيّ والطّبقي للمستهلك، والمقهى في هذه الحالة ليس فضاء جغرافيّا ثابتا بل حظوة طبقيّة راقية رمز للحداثة الفائقة يشكّل فضاءها امتدادا للسّوق التّجاريّة، مقاهي "العلامات الكبرى التّجاريّة" سلعة من بين السّلع الأخرى، الزّبون في مجتمع السّوق سلعة تمّ إجادة تغليفها، تعليبها حتّى تتأنّق في المظهر، فلا غرو إذن أن يتماهى مجتمع تلك المقاهي مع مجتمع السّوق الكاسح الّتي أتت "للإشهاد على عمليّة صياغة المجتمع، في تقاليده وأنظمته وقيمه ومعتقداته وتصوّراته

[1] دوسيوفسكي، في سردابي، تر. عبد المعين الملوحي، دار نينوى للدراسات والنشر،سوريا، ط١، ٢٠١٦، ص ٣٧
[2] آرثر رامبو، فصل في الجحيم، تر. رمسيس يونان، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٨، ص ١٩
[3] سلافوي جيجيك، فلسفة الفوضى، هل ينقد الدمار البشريّة، تر. عماد شيحة، دار الساقي، ط١، ٢٠٢٢، ص٩١
[4] هوت ماروك، م. س. ص٤٦١
* مثل مقهى التوتة بفاس ومقهى حديقة الأودية ومقهى الحافة بطنجة ومقهى زريرق بأصيلا

وتمثّلاته، في فضاء واحد ويقوده السّوق وتتحكّم فيه منظومة واحدة، رفع من مقامها لدرجة القداسة: السّلعة"[1].

لنلمّ شتات ما تمّ ذكره، إنّ المقاهي الشّعبيّة والمقاهي الجامعيّة ومقاهي "العلامات التجاريّة الكبرى" تشترك في صغر أفضيتها وفي امتدادها المكانيّ لحاضنة تتعيّش منها، غير أنّ كلّ واحدة منها تختلف عن الأخرى ضمن السّياق الّذي أوجدت فيه. فالمقهى الشّعبيّ إقامة مجازيّة للكسل و"قتل الوقت"، بينما أخلفت "المقاهي الجامعيّة" وعدها مع الوعي الثّقافيّ الّذي كان من الممكن إبقاؤه في الجانب المشمش من الحياة الجامعيّة والدّفع به خارج أسوار الجامعة بدل الاحتراب والإقصاء المنهج بين مكوّنات الطّلبة الجامعيّين. فضاء واحد وإيديولوجيّات شتّى، في حين أصبحت "مقاهي العلامات التّجاريّة الكبرى" فضاء لاستعراض تمظهرات "مجتمع السّوق"، مجتمع الوفرة الّذي يخفي زهدا خفيفا للوعي الطّبقيّ في الواقع الثّقيل.

*** المقاهي التّجارية**

ليس من المماراة في شيء القول إنّ إلقاء نظرة ولو كانت عجلى على شوارع المدن المغربيّة وقد غصّت جنباتها بما لا يحصى من المقاهي ستجد نفس التّشابه والتّناسخ، والّذي لا يختلف إلّا من حيث الأسماء وأغلبها أسماء لاتينيّة لمدن غربيّة (روما، ميلانو، مالاكا، باريس...). إنّ هذا الحضور الطّاغي للمقاهي يعطي تصوّرا عن المقهى عينه وعن زبائنه والشارع المنبتّ فيه وعن المدينة التّي تأويه. فهل "الزّبون المياوم" دائم الحضور لمقهاه، مسلوب الإرادة ومنخوب الفؤاد يمثّل الشّكل الدّرامي لزمن التّشيّؤ والاغتراب والاستلاب، زمن الاستهلاك الحادّ والفراغ الهذياني الّذي يقتل كلّ أمل في استعادة امتلاء الحياة. إنّ الطّرح الّذي قال فيه "بودلير" أنّ الشّارع شعر المدينة" يدفع بنا إلى تخيّل شوارع مدننا في ملحمة دراميّة وهي تطارد متجوّليها ومتسكّعيها وقد أُرْبكت الأرصفةُ بطاولات وكراسي المقاهي المتراصفة، لصحّ إذن أن يقال عن الشارع المغربيّ: الشارع تراجيديا المدينة. ومن الملفت أن نجد شارع "الدّاخلة" بحيّ "المسيرة" نسخة طبق الأصل لشوارع المدن المغربيّة الّتي وُسمت أخاديدا وتجاعيدا، وامتلأت بمقاهي وفيرة وشديدة الفوضى. وبصرف النظّر على انوجاد المقهى كبناء مادّيّ، فإنّ هذا الانوجاد ما هو إلّا قشرة خارجيّة لتقلّبات الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة للإنسان المهدور والمقهور.

١- المقاهي المتعدّدة الاختصاصات: هناك أفضية يتحلّب فيها ريق الجمال كالحدائق وأخرى كالمكاتب يتقطّر فيها الفكر ساكنا كاللّيل الكتيم، وهناك "أمكنة يموت فيه الفكر لتولد حقيقة هي نفي له بالذّات"[2]، والمقاهي من حيث الشّكل تتشابه كما يتشابه البقر، لكنّ المضمون أو الوظيفة تختلف بأشكال أخر، لكن ما يوحّدها في فترة لم يظهر فيه الأنترنيت بعدُ هو الانتماء المهنيّ المحض، حيث يصبح المقهى فضاء للصّناع والحرفيّين والسّماسرة والعازفين، يتداولون في هذا الفضاء أحوال المهن والحرف والسّوق، ويصبح أيضا فضاء يُبحث فيه عن خدمة أو "بريكول" ويُتبلّغ فيه عن كسرة أو "طرْف" خبزٍ. فقبل سنوات "كان لكلّ مقهى من مقاهي شارع الدّاخلة روّاد من فئة معيّنة. مقهى الحنفي مثلا لمقاولي البناء وزبنائهم. مقهى التّيسير خاص بتجّار السّيارات المستعملة.. مقهى الأمل يبقى

[1] يحيى اليحياوي، سوق بدون ليبرالية، مقالات في الريع والاحتكار والمنافسة بالمغرب، أفريقيا للشرق، ط١، ٢٠٢٣، ص٢٧

[2] ألبير كامو، المقصلة أعراس، تر. جورج طرابيشي، دار المدى، ط٢، ٢٠١٤، ص ٧٩.

الفضاء الرّسميّ للشّبيبة الجمعويّة أدباء ومسرحيّون شباب يعتبرون أنفسهم طليعة شباب الحيّ ونخبته المثقّفة.. مقهى فريد الأطرش الّذي لا يفصله عن مقهى الأمل سوى ثلاث محال تجاريّة، يعتبر المقرّ الدّائم لأشهر تاجر للمخدّرات في الحيّ.. بعد منتصف اللّيل يصعد بعض أبناء الحيّ متلصّصين إلى الطّابق العلويّ للمقهى حيث تعرض أفلام البورنو على جمهور متعطّش على الدّوام. مقهى ميلانو كان الفضاء الأثير لأساتذة ثانوية المسيرة ونخبة من الموظّفين الّذين يمكن وصفهم بالنّخبة المثقّفة"[١]. لا مناص إذن، في غياب قنوات إداريّة يستطيع من خلالها الحرفيّون والمهنيّون تَدبّر شؤونهم، فإنّهم يلجؤون إلى فضاء المقهى لتدارك شحّ الشّغل وعوز الحال. فالصّانع أو المهنيّ عندما يقهي رفقة جلسائه فليس ذلك مظنّة لتمضية الوقت، إنّها "جلسة عمل" في فضاء شبه مفتوح وكأنّنا في حاضرة الوكالة الوطنيّة لإنعاش التّشغيل والكفاءات anapec. إن المقهى بهذا المعنى كبحر توفيق الحكيم عندما سأل الصّيّادين فقالوا "هو مصدر الرّزق ومنبع الغذاء"، المقهى هو أيضا مورد للارتزاق.

وفضاء المقهى قد يتبدّل كما تتبدّل الفصول، فيكون الارتياد فيه عاديا سحابة اليوم، لكن بعد منتصف اللّيل عندما يجنّ الظلام، تنقشع هذه "السّحابة" ويصعد المهووسون عليّةَ المقهى خيفة وخفية لمشاهدة الأفلام غير المباحة. إنّ روّاد العلّية في الطّابق العلويّ لا ينشدون تأمّل الزن في اللّيل البهيم، ففضاء هذه العلّية ليس عرزالا في أوج شجرة باسقة، ولا علّية حوانيت صغيرة يبيت فيها البقالّون المهاجرون، إنّها فضاء التلصّص الحميميّ تحت أعين السّلطة المتغافلة، فلا شيئا منذور للصّدفة إلا "القهيوة" تحجب أنظار رجال السّلطة إلى أن تتبخّر آخر قطرة منها، فهذا المقهى "يعرف بدوره زيارات متواترة لرجال الشّرطة والمخبرين. ليس من أجل المداهمة والاعتقال، ولكن للحصول على لزوم المزاج من عمَر اليبوريّ (تاجر مخدّرات) بأثمنة تفضيليّة"[٢]، والمزاج العامّ للمغربيّ تقبّل وتطبّع بمزيج من الخوف والجهل مع "القهيوة"، عادة ما كانت الأغراض الإداريّة تُقضى في مقهىً، يضطرّ معها المرتفق إلى أداء ثمن "القهوة" أو تحقيرا لها وتصغيرا "قهيوة"، لتتطوّر في ما بعد إلى الإرشاء بثمن القهوة، هكذا تغيرت دلالة "القهوة"، والأفعى الّتي لا تغيّر جلدها كما يقول "نيتشه" تموت.

والمقهى بالقدر الّذي يكون فيه محجّا للصّنّاع والحرفيّين فهو أيضا ملتقى للعشّاق، لعابري و"عابرات السّرير"، لأوّل لقاء، لا لارتشاف القهوة ولكن لتلمّظ كوب عصير. العشّاق والمتصابون مدينون للمقهى، يرتشفون عصير الوجد، يتواعدون، قهوة سوداء للذّكر وعصير شبم من حظّ الأنثى، ليس للذّكر مثل حظّ الأنثى. ومن الضّير أن يتواعد العشّاق في مقهى شعبيّ تُبثّ فيه أغاني شعبيّة صاخبة، لذلك فالمقاهي التّجاريّة الأنيقة تعِد المتواعدين بفضاء فسيح تنثال فيها الأغاني النّاعمة بيسر وهدوء، لنضرب مثلا لذلك بمقهى Belle rêve "ملتقى العشّاق في ذاكرة العديد من النّساء المحسوبات على الطّبقة المتوسّطة الأعلى قليلا أو الأدنى قليلا هي فضاء أوّل موعد غراميّ"[٣]. فالعاشقان وهما يسلّمان جسديهما للمقهى فإنهما يوشكان أن يندمغا في هذا الفضاء الأثير، فهو مثير للرّومانسيّة الحالمة كما تثير رائحة القهوة كلّ خيشوم، وهل يصحّ أن يكون المقهى هذا فضاءً للاختباء والتستّر عن أعين

---

[١] هوت ماروك، م. س. ص ص ٣٩٨- ٣٩٩

[٢] هوت ماروك، م. س. ص ٣٩٩

[٣] عائشة العلوي المراني، دروب كازا بلانكا، سليكي أخوين، ط١، يونيو ٢٠٢٢، ص ٢٨

المتلصّصين والوشاة؟ أجل، وما من فضاء أكثر حميميّة من المقهى تنحلّ فيها عقد المشاعر وتطلق فيه الألسن من العقال. إنّ الثّقة الّتي يضعها المتواعدان في فضاء المقهى أكثر مما يضعانها في نفسيهما، إنّ الثّقة بين "هيام" الفيسبوكيّة و"عماد القطيفة" متهافتة كجرف هارٍ، وهذا الحوار يشير إلى الثّقة السّيّئة بينهما: -

١- إذن، هل يناسبك أن نلتقي يوم الجمعة في سطيحة مقهى "لارونيسونس"؟

٢- أنت تأمرين يا هيام.

٣- الخامسة مثلا؟

٤- أوكي عزيزتي.

٥- الخامسة بالضّبط، وعلى فكرة أنا دقيقة في مواعيدي. ثُمّ إنّني لا أحبّ الانتظار. إذا تأخّرت دقيقة واحدة عن الموعد، لن تجدني هناك.

٦- ستجدينني قبلك. سأكون في المقهى منذ الرّابعة. أحبّ أن أعذّب نفسي قليلا بعدِّ الدّقائق في انتظار إطلالة الأميرة"[1].

إنّ فضاء المقهى متعددّ المظاهر والألوان، فهو مسرح للتوتّر لمن "يعذبّه طول انتظار" كما غنّت امّ كلثوم في "أ غدا ألقاك"، لمن يترقّب وصول الحبيب وقد (طال به المقام) (صباح فخري). نذكر أنّ الشاعر جميل بن معمر كان يلتقي بعشيقته بثينة "عذبة الرّيق" إلى جوار بئر في الخلاء بعيدا عن الأعين الّتي تغار، يرين فيه الصّمت الّذي يؤجّج الخواطر وتسيل فيه الكلمات اللّطيفات، أمّا "عماد" في مقهاه النهضويّ وفي لباسه الورديّ لا يشعر بنعومة الكلمات، "كلمات ليست كباقي الكلمات"(ماجدة الرومي)، بيد أن هذا الفضاء انقلب إلى مكيدة أوقعته في فخّها "هيام"، فحقّ عليه أن يكون "صريع الغانيات".

٢- مقاهي كرة القدم، ملاعب بلا مدرّجات: إنّ المقهى ابن زمانه وعصره، وأيضا ابن روّاده الأوفياء، قد يكون فضاءً للترويح عن النّفس والهروب من أعباء العمل ومشاغل الحياة، لكنّها أضحت بما يثير الانتباه لا تني تحتضن كرة القدم بما يشكّل لها دخلا وفيرا وقارّا، ويكاد يستحيل أن نعدم في مقهىً شاشة تلفزيّة وأكثر تنقل مبارياتٍ مباشرة وغير مباشرة طيلة اليوم. ولن نجهد أنفسنا في إظهار الهيستيريا الكرويّة الّتي عرفتها المقاهي المغربيّة أثناء مباريات كأس العالم الّتي نُظّمت بقطر. إنّ الهذيان الجماهيريّ بمختلف الشّرائح والأعمار، وبنوعيّة جندريّة جديدة دخلت هذا الملعب الّذي كان محتكرا للرّجال، يطرح أسئلة كثيرة عن سرّ تهافت هذه المقاهي في نقل المباريات؟ عن الحدود الفاصلة بين الإمتاع والإلهاء؟

في روما القديمة، وبين جنبات مدرّجاتها الحجريّة، كان الجهد العضليّ للعبيد وهم يتعاركون مصدرَ إمتاع ومؤانسة للسّادة الأحرار. لكنّ هذه النّشوة الأبديّة الطبيعيّة أحدت في الحاضر نشقة أفيون، أصبحت كرة القدم الّتي "تتراكضها الأجساد" حسب معروف الرّصافي هي السّيّدة الحرّة، المعبودة الكرويّة لديانة العصر الجديد، يقدّم لها طقوس الصّلوات والقداس، والمتفرّج المتعبِّد الّذي يسرح بصره بتبالد وسذاجة على الشّاشة أصبح قنّا من أقنان عصر الصّورة المبهرة. فلاعبوا كرة القدم، المعبودون الجدد، يستطيعون أن يلوّنوا البورصات الماليّة إن شاءوا باللون الأحمر أو الأخضر، فهم محبوبو الجماهير، وصفوة الأبطال، ونخبة المشاهير، تتنهّد النساء لأسمائهم المبجّلة، إنّهم أبطال

[1] هوت ماروك، م. س. ص ٤٩٧

خوارق لا يضحّون بأنفسهم، وكيف يضحّون بأنفسهم و"كعبهم" الذّهبيّ المؤمَّن أغلى من ميزانيّات دول الجنوب. ألم تعتبر الحكومة الوطنيّة البرازيليّة اللاعب "بيليه" ملك كرة القدم "ثروة وطنيّة ومنعت تصديره"[١]، بل أكثر من ذلك، ألم توقف مباراة للجوهرة السّوداء حربا ضروسا "فقد توصّلت نيجيريا وبيافرا* إلى هدنة لمشاهدته وهو يلعب"[٢]. يكفي أن تكون بطلا كرويّا لتصبح رئيسا**، ويكفي أن يزلّ قدم اللّاعب ليخدع مرماه فيُردى قتيلا***. هذا قطاف ما تمّ جنيه من سلال المجتمع الاستهلاكيّ، المتعة اللّحظيّة العابرة، والتّضحيّة بالمثل العليا للإنسانيّة: قيمتا الشّهادة والتّضحيّة، "فلا مكان للشّهداء ولا الأبطال في المجتمع الاستهلاكي الحديث السّائل في الجزء الثريّ من الكرة الأرضيّة، فذلك المجتمع يحفّز القيمتين اللّتين استدعتا وجود الشّهداء والأبطال ويدينهما ويحاربهما. إنّه يحارب بداية ضدّ التّضحيّة بالملذّات الحاضرة في سبيل الغايات البعيدة.. كما أنّه يشكّك في قيمة التّضحيّة بالملذّات الفرديّة باسم مصلحة الجماعة أو في سبيل القضيّة"[٣]. ما معنى هذا الاستغراق في لعبة فاضت عن قيمتها المتعيّة؟ وما معنى هذا الاسترقاق لأعناق تشرئبّ في المقاهي انتصارا لهذا الفريق أو ذلك؟ أهو هوى شعبيّ جارف يفوق الحماسة الدّينيّة؟ أأصبح المقهى حيّزا مقدّسا تقام فيه ابتهالات ودعوات لنصرة الفريق، وتتعالى فيه أدخنة السّجائر والحشيش؟ لا ريب أنّ تواتر المباريات على مدار اليوم والأسبوع والشّهر والسّنة لن تترك لرهين المباريات أي لحظة لينعم فيها بتأمّل ذاته أو مجالسة أتربائه، أن يسجّل هدفا في مرمى الحياة، ف "الكلّ يتابع الليغا في مقاهي شارع الدّاخلة. كلّ المقاهي صارت تنقل المباريات مباشرة، وتتيح حصّة المراجعة من خلال بثّ الإعادة في صباح اليوم التّالي"[٤]. إنّ فضاء المقهى حيث تشاهَد فيه المباريات الأجنبيّة أضحى فضاء اغتراب وإذلال اجتماعيّ، فضاء لا يُشتمّ فيه النعناع المحليّ ولا نكهة البنّ اليمنيّ الأصيل. فالبنّ إيطاليّ التّحميص، والملعب لا يعرف ل "الحارثي"* شرف الاسم العربيّ الجريح، فالملعب قد يكون سانتياغو أو "كامب نو" أو غيرهما، والمتفرّج المشدوه يعرف أسماء اللّاعبين أكثر ممّا يعرف أسماء الجيران، بله يعرف بافتخار مقاس أحذية لاعبيه الأبرار، دون أن يعرف أسماء مثقّفي بلده وأدبائه وأبطاله الحقيقيّين. لو أردنا اقتراح ترسيمة لأسماء حكّام أو شعراء مراكش القديمة لأحد روّاد مقهى "ميلانو" بشارع الدّاخلة لشرد دهرا وغاب عنه

---

[١] إدواردو غاليانو، كرة القدم في الشمس والظل، تر. صالح العلماني، دار طوى للنشر، ١٩٩٥، ص١١٥

* بيافرا جمهورية انفصالية سابقة دخلت في حرب أهلية مع نيجيريا قصد الاستقلال الذاتي سنة ١٩٦٧، نقلا باقتضاب عن ويكيبيديا

[٢] نفسه، ص١١٦

** أعتُبر اللاعب الليبيري جورج ويا George Weah والفائز بالكرة الذهبية بطلا قوميا، وانتخب رئيسا لليبريا سنة ٢٠١٧.

*** تمّ اغتيال اللاعب الكولومبي أندريس إسكوبار Andrés Escopar سنة ١٩٩٤ لكونه سجل هدفا ضد مرماه في نهائيات كأس العالم التي نظمت بالولايات الأمريكية سنة ١٩٩٤ أمام الفريق المنظم لهذه الكأس. والطريف أناغتياله جاء بعد اغتيال تاجر المخدرات الشهير "بابلو إسكوبار" سنة ١٩٩٣، تعددت الأسباب والاغتيال واللقب واحد.

[٣] زيجمونت باومان، الحياة السائلة، فصل من الشهداء إلى الأبطال، ومن الأبطال إلى المشاهير، تر. حجاج أبو جبر، الشركة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٦، ص ٧٤

[٤] هوت ماروك، ص٣٩٨

* ملعب الحارثي هو الملعب التاريخي لمادي الكوكب المراكشي، سمي بهذا الاسم نسبة للحي الذي يوجد فيه"جنان الحارثي".

الجواب، فالرّأس الّذي أثقله الدّخان تتراكضه أسماء لاعبين أعاجمَ يلهج بها كلّ لسان. أرض "الليغا" كانت ذات زمن كاسح ميدان نصر يوسف بن تاشفين(١٠٠٩- ١١٠٦م) في الزّلاقة(١٠٨٦م) ويعقوب المنصور (١١٦٠- ١١٩٩م) في الأرك(١١٩٥م)، وها هي الآن، أراضي الأندلس، ذلك الفردوس المفقود، رحى لمعارك لا سيف فيها ولا سنان، سلاحها كرة مستديرة، الكرة المستديرة حسب باسكال شكل الاهيّ، هي ليست مملوءة قطّ بالهواء، إنّها منجم ماس ونحاس، وإيرادات تعظيم الأرباح لبلايين الدّولارات. فهي صناعة لا كباقي الصّناعات.

والزّبون المشجّع ضمن الحشد الغفير الّذي امتلأت به جنبات المقهى وسطيحتها يستطيع أن يحلّل، يعلّق، يشتم، لكن ليس في الملعب بل وراء الزّجاج الكريستاليّ البارد، "كلّهم خبراء في كرة القدم. فنيّون من مستوى عالٍ. يشرحون الخطط التّكتيكيّة وهم يدخّنون ويسعلون. كلّهم يفهمون أحسن من المدرّبين ويقدّرون الأمور أفضل من الحكّام ويعنّفون اللّاعبين وهم يدلّونهم بعد فوات الآوان على أقرب السّبل إلى مرمى الخصم وعلى أنجع الطّرق لاستغلال الفرص الّتي ضاعت"[١]. وعندما يعلن المعلّق الرّياضيّ كوووووووووووول كبيرة تتعانق الأجساد وتتعالى الصّيحات، وتهُبّ النادلة لإنقاذ الكؤوس والقنّينات، والّتي تتقاذفها الأيادي كما تتقاذف الأرجل الكرات. إنّها "سيكولوجيّة الجماهير" الّتي تذوب فيها الأنوات، يصير "أنا" نحن واضح الصّفات، لعب(نا)، تأهّل(نا)، انتصر(نا)... لقد كان الزّبون/المتفرّج تفترسه رتابة الرّوتين، أيّ روتين كان، وكآبة تسحق بصمت أسود دواخله المهزوزة، وها هي اهتزازات شباك الغريم اللّدود تداوي رتابته وكآبته كأقراص الباروكستين*، غير أنّ هدفا مباغتا في شباك فريقه المفضّل، سيفاقم كآبته تارة أخرى ويعيدها إلى سيرتها الأولى.

وحيث أنّ "مقاهي شارع الدّاخلة صارت مثل بعضها بعدما تحوّلت إلى مدرّجات في ملعب لكرة القدم. ملعب شاسع ممتدّ على طول الشّارع"[٢] فإنّ ذلك التّشابه الظّاهريّ يخفي كثيرا من الصّراعات والاستقطابات. فكلّ مقهى له فضاء خاصّ بأنصار فريق معيّن، فمقهى اليبوريّ الّذي عشق الفريق صدفة لكونه مهاجر سابق بديار "البارصا" يتشدّد في ولوج غير البرصاويين إلى فضائه البلوغرانيّ**"، لذلك "حرّم ولوج المقهى على جمهور النّادي الملكيّ"[٣]، أمّا مقهى "ميلانو" الّذي فُرِض فيه على المساعد للنّادلة ارتداء القميص الأبيض الرّياليّ فإنّ هناك "حدّ أدنى من الدّيموقراطيّة، وهناك مجال للتّفاعل بين الجمهورين"[٤]. يستنتج من ذلك أنّ الدّيموقراطيّة الشّكليّة بالمقهى، وهي كذلك في الواقع، نتاج وعي شكليّ أكثر اغترابا، لأنّ في نهاية الأمر، لا البارصا ولا الرّيال يمثّلان هويّة النّصير المتعصّب للفريقين الأجنبين، فكيف يقدف بنفسه في دوغما الانتماء لناديّ لا تجمعه به لا آصرة ولا قرابة ولا لغة ولا ثقافة، هذه اللّاءات النافية للجنس نافية أيضا لقدسيّة الانتماء، إنّه الفراغ المطلق الّذي ينسرب فيه هذا الكائن الهارب إلى فضاء المقهى الكرويّ، إحساس بخلوّ الحياة من المعنى، معنى أن يكون مواطنا فاعلا لا مفعولا، لا تتلاعب به السّلطة كما تشاء، هذا الفراغ كان من المحتمل أن تملأه

[١] هوت ماروك، م. س. ص ص٤٠٠- ٤٠١

* عقار مضاد للإكتئاب

[٢] هوت ماروك، م. س. ص ص٣٩٩- ٤٠٠

** البلوغراني نسبة للقب البارصا، وهي لونا الفريق الأحمر والأزرق

[٣] نفسه ص ٤٠٠

[٤] نفسه، ص٤٠٠

المكتبات والأندية الثّقافيّة، وما المقهى إلّا فراغ ممتدّ "مقاهي مدينتي تتعاطف مع الفراغ المطلق، تفتح أبوابها وتفيض طاولاتها وكراسيها على الأرصفة، يعصرون الزّمن... ليملأوا الفراغ بالفراغ"[1]، والهوس الاحتفاليّ بفرجة كرة القدم بالمقهى يحاول أن يملأ الفراغ، أن يكنس السّأم والضجر من حياته بانتصار في ملاعب خضراء بالدّيار البعيدة، وما حياته إلّا صحراء مقفرّة، "الصّحراء الهجر الكامل لهموم الإنسان الحالي الّذي هو تتمّة للإنسان القديم الّذي تضبطه وصفة الاحتفالات"[2].

يمتلك المقهى الّذي تستولي عليه الكرة "السّاحرة" إذن قدرة ساحرة على امتلاك إنسان الفراغ الّذي يستهلك ثمالة كأسه إلى آخر قطرة، على استعباده بلا قيود ولا أغلال، وإلّا لماذا السّلطة ترخّص بلا تحفّظ ما لا يحصى من المقاهي المتجاورة كتف على كتف؟ ولنا أن نتساءل بتحفّظ هل أصبحت المقهى البيت الأوّل للزّبون؟ هل أمسى يعيش حياة أخرى مشوّقة غير حياته الكابية؟ الإجابة السّريعة تقديرها: "الحياة في مكان آخر. إنّها هناك. كوووول"[3].

*** خاتمة**

ولئن أكدّنا أنّ فضاء المقهى بما هو تأويل لممكنات الاحتراب والاستلاب كما هو شأن المقاهي الجامعية وأنّه أيضا موئل للقتل غير الرحيم للوقت في فضاء المقاهي الشعبية، فإنّنا نقرّ بأنّ هذا الفضاء الّذي يتنامى وتتغيّر أدواره باستمرار يبقى قسيم البيت في الاستحواذ على الذّات الإنسانيّة. إنّ البيت هو الرّحم المستعاذ الّذي ثمنأ فيه روح الإنسان وتنسج فيه أحلام اليقظة، أما المقهى فهو حاضنة inculbateur الأرواح الّتي حطّمها تغوّل الليبيرالية الجديدة وتآكل اللّحمة الأسريّة، إنّ فضاء المقهى فرار من واقع معقول حسب هيدغر، لكنه واقع معقول غير محتمل.

*** نتائج البحث**

من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة أجملها في ما يلي: -

١- تعتبر المقاهي الشعبية فضاء للكسل وتزجية الوقت، فهي انعكاس للأحياء الشعبية الفقيرة التي تجر وراءها خيبات البطالة والعطالة.

٢- إن الانتشار السرطاني للمقاهي، وتحت أعين السلطة، يفسر سياسة الإلهاء التي تنهجها هذه الأخيرة كنوع من المنومات شديدة الخدر للمواطنين.

٣- ندرة المقاهي الثقافية يوضح حالة الفصام البيّن مع الثقافة، كوعي ثقافي هامشي.

٤- الاهتمام المبالغ فيه بمباريات كرة القدم بالمقاهي يعكس حالتي الاغتراب والاستلاب للرواد المهووسين بكرة القدم.

*** التوصيات**

لا بد لي إثبات أهم التوصيات على الشكل التالي:-

١- الاهتمام بالمقاهي الثقافية كفضاء لتلاقح الافكار وترسيخ ثقافة الحوار والحق في الاختلاف.

٢- استغلال فضاءات المقاهي للإبداعات المسرحية والمعار ض الفنية وغيرهما.

*** المراجع**

إبراهيم خليل، بنية النص الروائيّ، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط١، ٢٠١٠

[1] دروب كازا بلانكا، م. س. ص٥٣
[2] جورج باتاي، التجربة الداخلية، تر. عدنان محمد، دال للنشر والتوزيع سوريا، ط١، ٢٠١٧، ص٥٥
[3] هوت ماروك، ص ٤٠١

إدواردو غاليانو، كرة القدم في الشمس والظل، تر. صالح العلماني، دار طوى للنشر، ١٩٩٥

إلياس كانتي، شذرات، تر. رشيد بوطيب، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة) ط١، ٢٠٠٩

إميل سيوران، لو كان آدم سعيدا، تر. علي اليوسفي، أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، يناير ٢٠١٤.

ألبير كامو، المقصلة أعراس، تر. جورج طرابيشي، دار المدى، ط٢، ٢٠١٤

آرثر رامبو، فصل في الجحيم، تر. رمسيس يونان، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٨

جورج باتاي، التجربة الداخلية، تر. عدنان محمد، دال للنشر والتوزيع سوريا، ط١، ٢٠١٧

دوسيوفسكي، في سردابي، تر. عبد المعين الملوحي، دار نينوى للدراسات والنشر، سوريا، ط١، ٢٠١٦

زيجمونت باومان، الحياة السائلة، فصل من الشهداء إلى الأبطال، ومن الأبطال إلى المشاهير، تر. حجاج أبو جبر، الشركة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٦

سلافوي جيجيك، فلسفة الفوضى، هل ينقد الدمار البشريّة، تر. عماد شيحة، دار الساقي، ط١، ٢٠٢٢

عائشة العلوي المراني، دروب كازا بلانكا، سليكي أخوين، ط١، يونيو ٢٠٢٢

عبد الله العروي، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٥

عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المحقق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق، ط١، ٢٠٠٤

فرديناند ألكييه، التوق إلى الخلود، تر. سنا خوري، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، بيروت، ط١، ٢٠٠٩

ياسين عدنان، هوت ماروك، دار العين للنشر، ط١، ٢٠١٦

يحيى اليحياوي، سوق بدون ليبرالية، مقالات في الريع والاحتكار والمنافسة بالمغرب، أفريقيا للشرق، ط١، ٢٠٢٣

www.youtube alghad.tv

www.zamanalwasl.net